مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الاغتراب النفسي في شعر الملك يوسف الثالث:
دراسة أدبية تحليلية

زينب القرشي نظير يوسف
مقيدة ومسجلة بالدراسات العليا في قسم اللغة العربية
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي
أ.د. منى ربيع بسطاوي
أستاذ الأدب الأندلسي
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي
د. أشرف أمين جاد أبوزيد
أستاذ الأدب والنقد المساعد
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي
DOI: 10.21608/qarts.2025.337545.2107

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٤) العدد (٦٦) أبريل ٢٠٢٥
الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X
الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X
موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الاغتراب النفسي في شعر الملك يوسف الثالث:
دراسة أدبية تحليلية

الملخص:

تهدف هذه الدراسة للوقوف عند مظاهر الاغتراب النفسي عند الملك يوسف الثالث وتوضيح أهم تلك المظاهر من خلال شعره، كما تحاول الكشف عن الأسباب التي كمنت وراء إحساس الملك يوسف بالاغتراب النفسي، نتيجة لتلك النكبة والمعاناة التي تعرض لها، وكيف تعامل معها، كما توضح انتشار الألفاظ التي تدل على الحزن والأسي التي تعكس لنا صورة اغترابه النفسي من خلال أشعاره، وتُلقي هذه الدراسة الضوء على عمل أدبي أندلسي عريق وهو ديوان الملك يوسف الثالث، وقد اتبعت هذه الدراسة المنهج النفسي.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، النفسي، شعر الملك يوسف الثالث، الملك يوسف.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ...خلق الإنسان وكرمه وفطره علي خير وقوَّمه، والصلاة والسلام علي إمام المتقين، وقدوة المربين، المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:

الاغتراب شعور إنساني يحمل في طياته الكثير من الألم والقسوة لا يشعر به إلا من عاش تلك التجربة وذاق تلك المرارة، ويحدث الاغتراب نتيجة لعدة دوافع منها السياسي، والاجتماعي، والفكري، والثقافي، ويحسن التعبير عن تلك التجربة الأديب فيصيغ لنا تلك المشاعر في صورة تحمل كل تلك المعاناة التي مرَّ بها، كما فعل شاعرنا السلطان يوسف الثالث.

مفهوم الاغتراب

معجميًا:

تشير المعاجم اللغوية العربية إلي أن مصطلح الاغتراب مأخوذ من الجذر اللغوي "غرب "وهو جذر يدل علي حد الشيء يقال: غرب السيف، أي حده ويقال استغرب الرجل، إذا بلغ حده الأبعد من الضحك فالغرب هو الحد من كل شيء[١]

اصطلاحًا:

الاغتراب سمة جوهرية تلازم الوجود الإنساني فهو ظاهرة عامه تكمن ملاحظتها في مختلف النظم والثقافات والمجتمعات وقد أشار العرب إلي مفهوم الاغتراب في معاجمهم وفهموه علي انه الارتحال عن الوطن والبعد والهجر ومع مرور الوقت تطور واقع الإنسان العربي والظروف المحيطة به وتطور تفكيره، وجميع تلك العوامل خلقت مناخًا ملائمًا لانتعاش مفهوم الاغتراب وتغطيه للبعد المادي (أي الغربة

[١] –مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ئبن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،٤/٤٢

المكانية)، والاغتراب بهذا المعني عبر عنه فلاسفة وشعراء عرب متصوفة كثر، ولكن الاهتمام بظاهرة الاغتراب تبدأ مبكرًا في البيئة الغربية، إذ إن الفكر الغربي كان سباقًا في التأسيس العلمي للمصطلح[٢] وهذا يوضح لنا أن العرب كان لهم السبق في معرفة مصطلح الاغتراب، والغرب هم من تناولوا النظريات في توضيح معني الاغتراب.

أنواع الاغتراب:

الاغتراب عدة أنواع نذكر منها

١-الاغتراب الثقافي

٢-الاغتراب الاجتماعي

٣-الاغتراب الديني

٤-الاغتراب السياسي

٥-الاغتراب الاقتصادي

٦-الاغتراب النفسي

٧-الاغتراب المكاني

٨-الاغتراب الإنساني

أسباب الاغتراب ومصادره:

تعدد أسباب الاغتراب ومصادره ومنها ما يلي:

١-عدم الاستقرار السياسي

٢- فشل الإنسان في الوفاء بالوعود

٣-زيف وانحسار المشاركة الفعلية في اتخاذ القرار

٤- تراكم خبرة الفقر وعدم العدالة

---

[٢] -موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.عبدالوهاب المسيري،(د'ط)،(د،ت)،٢/ ٨٠

٥-توظيف التكنولوجيا لمزيد من سيطرة المراكز الإنتاجية، ويري بعض العلماء أن الشعور بالاغتراب يأتي نتيجة عوامل نفسية مرتبطة بنمو الفرد وعواما اجتماعية مرتبطة بالمجتمع الذي يعيش فيه مما تجعله غير قادر علي التغلب علي مشكلات الحياة[٣]

أثر الاغتراب علي الإنتاج الأدبي:

قد يتسم الأسلوب الأدبي بالغموض والرمزية للتعبير عن المشاعر العميقة التي تدل علي الاغتراب، لذلك يميل بعض من الأدباء إلي استخدام أساليب تعكس الانفصال والتشتت.

نماذج من الأدب المغترب:

أدب المنفي: مثل كتابات محمود درويش التي تحمل تلك المشاعر من الحنين والشوق للوطن الفلسطيني.

أدب المهجر: مثل أعمال جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة التي تعكس حالات الصراع مع الثقافات الجديدة، والحنين للوطن.[٤]

أدب الوجودية: مثل روايات ألبير وكافكا، التي تركز علي الاغتراب الإنساني.

فالاغتراب يدفع الأدباء إلي التفكير والإبداع والتجديد خارج الإطار التقليدي، وكذلك استخدام أساليب سردية جديدة، تعبر عن الشعور بالعزلة.

الملك يوسف الثالث: هو السلطان أبو الحجاج يوسف الملقب بالناصر لدين الله ابن السلطان أبو الحجاج يوسف المستغني بالله ابن السلطان محمد الخامس الملقب بالغني

---

[٣] -إرشادات الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، سناء حامد زهران، ط١ (١٤٢٤هجري-٢٠٠٤م)،ص١٠٦

[٤] -جبران في ضوء مؤلفاته العربية دراسة تحليلية، محمد نجم الحق الندوي، مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، العدد السادس عشر، ٢٠٠٩م،ص١٥٩

بالله، وكنيته أبو الحجاج ولقبه الناصر وهو ثالث عشر ملوك بني نصر مؤسسي مملكة غرناطة آخر معقل إسلامي في الأندلس[٥].

اختار السلطان يوسفُ الثاني ابنه الأمير يوسف الثالث لولاية العهد نظرًا لأنه أكبر أولاده، ولعلمه وأدبه، وكفاءته ومروءته، فغضب أخوه محمد، وهبّ مع بعض أنصاره إلى الحمراء من أجل الثورة على أبيه ولكنه لم يفلح في ذلك، ولم تطل مدة يوسف الثاني في الحكم، وقد أفلح ولده محمد بالاعتماد على حزبه في الاستيلاء علي الملك وإبعاد أخيه إلى سجن شلوبانية [٦]

ثقافته:

لقد تلقي الأمير يوسف الثالث ثقافه علميه وأدبية متينة وقوية انعكس ذلك بوضوح في كتاباته وتعليقاته وأشعاره، وتثقف علي أيد كبار العلماء[٧]

فقد أخذ عن القاضي أبي محمد عبدالله بن جزي وهو علي قول المقري أديب طلع في سماء العلوم بدرا مشرقًا، جيد النظم، وسما بشعره ونبغ فيه ومابلغ أحد من شعراء عصره منه ما بلغ[٨]، وأخذ كذلك عن معلمه أبي عبدالله الشريشني، وهو من تلامذة ابن الخطيب، واكتب لصبيان في بعض أطواره، وكان مؤدب الأبناء السلطان ومعلما القرآن والسنه[٩]،كما أخذ عن قاضي غرناطة محمد بن علاف[١٠]

---

[٥] –ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق محمد بن شريفة، ط١(١٤٠٧–١٩٨٧)، ص١٩

[٦] –ديوان ابن فركون، ص٢١،٢٠

[٧] –ديوان ابن فركون، ص٣٨

[٨] –أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق :مصطفي السقا، إبراهيم الابياري، عبدالحفيظ شلبي، الناشر: القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٣٥٨–١٩٣٩)،١٨٩/٣

[٩] –الإحاطة في أخبار غرناطة، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، حققه :محمد عبدالله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة،ط١(١٣٩٥هجري–١٩٧٥م)،١٦٧/٣

ميراث الملك يوسف من العلم:

لقد كان الملك يوسف الثالث محبًا للأدب والشعر وقد وضح ذلك في بداية صفحات ديوانه، فقد ألف كتاب جمع فيه أشعار الوزير ابن زمرك شاعر الحمراء أسماه البقية والمدرك من كلام ابن زمرك، فكان السبب في بقاء أشعار ابن زمرك خالده حتي اليوم.

وقد ترك الملك يوسف قصائد وآثار أدبية مثل ديوانه، ليصنف من الأدب السياسي والاجتماعي الذي يعكس ويصور لنا الحكم في فترة الأزمات.

ظل الملك يوسف الثالث في السجن حتى وفاة أخيه محمد سنة (٨١٠)، ومهما يكن الأمر فقد حضرت العناية الإلهية، وظهرت الألطاف الخفية فاستقل من الخطب الكبير كما يقول، وذلك بوفاة محمد السابع، وهكذا غادر السجن واعتلي عرش غرناطة[١١] ، وقدم إنجازات كثيرة إلي دولة غرناطة، وتوفي الملك يوسف الثالث سنة(٨٢٠هجري/١٤١٧م)

ويعكس الملك يوسف الثالث في شعره الأزمات السياسية التي مرت بها دولته في ديوانه، ويعبر عن مرارة الخيانة والعزلة السياسية التي عاشها الملك في السجن فيقول:

إلي الله أشكو ما بقلبي من الأسي وما قد طوت من شرح حالي أسراري

تفرق أحباب وجمع حواسد وكثرة أعداء وقلة أنصار

ففي هذه الأبيات، يشكو الملك من الأسي والتحديات التي تواجهه، من تفرق الأحباب وازدياد الأعداء وقلة الأنصار، مما يوضح ويعكس الأزمة السياسية التي عاشها .

---

[١٠]–الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الناشر: بيروت دار الجيل،(د،ط)،،(د،ت)،١٩٦/٨

[١١] –ديوان ابن فركون، ص٢٥

ونتيجة الظروف والمعاناة التي مر بها الملك يوسف الثالث وتعرضه للخيانة والخذلان من أقرب الناس إليه، شعر بالحزن والأسي، مما ترتب عليه شعوره بالاغتراب النفسي.

من خلال عدة أغراض أبرزها:

الرثاء: استخدم الشاعر الرثاء لتعبير عن الحزن الذي يخالج صدره، مما يعكس شعوره بالاغتراب النفسي.

الغزل: عرض في بعض قصائده موضوعات الحب والحنين والشوق، مما يعكس حالة نفسية معقدة وشعورًا بالاغتراب.

الوصف: استخدم الشاعر الوصف كوسيلة لتعبير عن مشاعره الداخلية، من خلال وصف الأماكن، والطبيعة، والرياح، لتعكس حالته النفسية ومشاعر الاغتراب.

هذه الأغراض الشعرية كانت عونًا للملك يوسف، لتعبير عن مشاعره وتجسيد حالته النفسية المضطربة، مما أضيف علي شعره عمقًا وإحساسًا بالاغتراب النفسي.

وقد استخدمنا المنهج النفسي في دراسة الاغتراب عند الشاعر يوسف الثالث، وذلك من خلال تطبيق خطوات المنهج في الدراسة :

المرحلة الأولي : من خلال قراءة سيرة الملك يوسف الثالث وتحليل الأحداث المحورية التي أثرت عليه.

المرحلة الثانية: تحليل النصوص: وذلك من خلال اختيار قصائد تعبر عن الحزن أو الشوق والحنين، وتحليل الرموز والصور الأدبية التي تشير إلي شعور الاغتراب النفسي.

المرحلة الثالثة: الاستنتاجات.

وذلك من خلال ربط النتائج بحياة الشاعر وتفسيرها في ضوء الظروف التاريخية والنفسية.

وباستخدام المنهج النفسي وتحليل النصوص، يمكن الكشف عن أبعاد الاغتراب النفسي لدي الملك يوسف الثالث وتوضيح كيفية انعكاس هذه الحالة علي إنتاجه الشعري.

التمهيد:

الاغتراب النفسي يشعر الكثير منا بالضياع والوحدة والضغوط النفسية وفقدان الشعور بالانتماء والانفصال عن الحياة بوجه عام، والعجز والقصور في التعايش مع البشر، وبالتالي يعرف لنا "على وطفة" الاغتراب النفسي بمفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للانشطار أو الضعف والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع. مما يعني أن الاغتراب يشير إلى النمو المشوه للشخصية الإنسانية، حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة وتعد حالات الاضطراب النفسي أو التناقضات صورة من الأزمة الاغترابية التي تعتري الشخصية.[12] فيشعر الإنسان بالاغتراب النفسي نتيجة فقدان الثقة بنفسه وبمن حوله، والشعور الدائم بالوحدة والضغط المستمر.

وتعرف الاغتراب د. رغداء على، وهو ما يعانيه الإنسانُ من مظاهر مثل: فقدان الشعور بالانتماء، وعدم الالتزام بالمعايير، وبالعجز، وعدم الإحساس بالقيمة، وفقدان المعني والتمركز حول الذات.[١٣] ويتحدد مفهوم الاغتراب في الشخصية في الجوانب التالية:

-حالات عدم التكيف التي تعانيها الشخصية، من عدم الثقة بالنفس، والمخاوف المرضية، والقلق والإرهاب الاجتماعي.

-غياب الإحساس بالتماسك والتكامل الداخلي في الشخصية.

---

[12] -المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، على وطفة مجلة عالم الفكر مجلد ٢٧، عدد٢، إصدار ١أكتوبر١٩٩٨، ص٢٤٧

[١٣] -الاغتراب النفسي وعلاقته بالأمن النفسي دراسة ميدانية على عينه من طلبة دمشق القاطنين بالمدينة الجامعية، د/رغداء نعيسة، مجلة جامعة دمشق -المجلد٢٨-العدد الثالث-٢٠١٢، ص١٢٠

-ضعف أحاسيس الشعور بالهوية مثل: الشعور بالانتماء والشعور بالجهد المركزي والشعور بالحب والثقة بالنفس، والشعور بالقيمة، وغياب الإحساس بالأمن.

-حالة ديمومة العقد النفسية التي تعتري الشخصية مثل: عقده النقص، وعقدة الاضطهاد.[١٤]

وكما يلاحظ "إريك فروم" في كتابه "المجتمع السوي": فإن المعني القديم للاغتراب قد استخدم للدلالة على الشخص "المجنون"، والذي تدل عليه الكلمة الفرنسية الإسبانية ALienado، ويذكر فروم: أن هذين هما المصطلحان القديمان اللذان يدلان على الشخص "السيكوباتي" أي الشخص المغترب تمامًا عن عقله[١٥].

ولعل من الأسباب التي تؤثر على نفسية الشاعر وتدعوه لهذا النوع من الاغتراب هو تركه لوطنه الذي يحمل في داخله ذكرياته ونشأ وترعرع فيه، فعند تركه لوطنه سواء طوعًا أوكرهًا، يخلق حالة من الأسي والحزن في نفسية الشاعر. فنجد شعور الشاعر المغترب يتضاعف عندما يتذكر الديار والأهل والأحباب وخاصة في المناسبات التي كانت تجمعهم، وهذا ما نلمسه في قول ابن جبير، وقد شهد العيد في مصر يقول: (بحر الطويل)

شهدنا صلاة العيد في أرض غربة بأحواز مصر والأحبة قد بانوا

فقلت لخلي في النوى جد بدمعة فليس لنا إلا المدامع قــربانُ[١٦]

---

[١٤] – المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص٢٤٨

[١٥] –الإنسان المغترب عند إريك فروم، د. حسن حماد، مكتبة دار الكلمة – القاهرة ٢٠٠٥، ص٦٤

[١٦] –نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه د. إحسان عباس، دار صادر– بيروت (٤٩٢/٢)

–ابن جبير هو محمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين رحالة أديب، ولد في بلنسية ونزل بشاطبة، وبرع في الأدب، ونظم الشعر الرقيق، وحذق الإقراء، وأولع بالترحل والتنقل، فزار المشرق

يوضح لنا الشاعر شوقه وحنينه حين يتذكر أسرته عندما تركهم من أجل طلب الرزق، ومن الشعراء أيضًا أبي بكر بن زهر الذي يوضح لنا اشتياقه إلى ابنه الذي كان في الأندلس وهو في بلاط الموحدين يقول:(بحر المتقارب)

وَلي واحِدٌ مِثل فَرخِ القَطا صَغيرٌ تَخلَّفَ قَلبي لَدَيه
أحن إليه فيا وحشتي لِذاكَ الشَخيصِ وَذاكَ الوَجيه
تَشَوَّقَني وَتَشَوَّقتُـــهُ فَيَبكـــي عَلَيَّ وَأَبكي عَلَيـــه
وَقَد تَعِب الشَوق ما بَينَنا فَمِنهُ إِلَيَّ وَمَنّي إِلَيـــه [١٧]

تتجلي ظاهرة الاغتراب والشوق والحنين لدي الشاعر إلي ابنه ويبين لنا مدي لهفته إليه.

وكذلك يبين لنا بعض الشعراء في أشعارهم اغترابهم النفسي، وشعورهم بالحزن والأسي على فقد أحبتهم، فتضيق بهم الأرض بما رحبت، فيعبروا عن تلك الحالة النفسية من خلال أشعارهم كما فعلت الخنساء عند رثاء أخيها صخر فتقول: (من بحر البسيط)

ضاقَت بِيَ الأَرضُ وَانقَضَّت مَخارِمُها حَتّى تَخاشَعَتِ الأَعلامُ وَالبيدُ
وَقـــائِلينَ تَعَـــزّي عَن تَـــذَكُّر فَالصَبرَ لَيسَ لِأَمـــرِ اللَهِ مَردودُ
يا صَخرُ قَد كُنتَ بَدراً يُستَضاءُ بِهِ فَقَد ثَوى يَومَ مُتَّ المَجدُ وَالجودُ
اليَومَ أَمسَيتَ لا يَرجوكَ ذو أَمَلٍ لَمّا هَلَكتَ وَحَوضُ المَوتِ مَوردُ
وَرُبَّ ثَغرٍ مَهولٍ خُضتَ غَمرَتَهُ بِالمُقرَبـــاتِ عَلَيها الفِتيَـــةُ الصيدُ
نَصَبتَ لِلقَومِ فيهِ فَصلَ أَعيُنِهِم مِثلَ الشِهابِ وَهى مِنهُم عَباديدُ [١٨]

ثلاث مرات إحداها سنه(٥٧٨-٥٨١)وهب التي ألف فيه رحلة ابن جبير، ومات بالإسكندرية في رحلته الثالثة، ومن كتبه(نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان).

[١٧] -زاد المسافر وغرة محيا الأدب السّافر، لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، اعتني بنشره والتعليق عليه: عبد القادر محداد، بيروت ١٩٣٩-١٣٥٨، ص٢٩-٣٠

تصف الخنساء تلك الحالة النفسية التي نقلتها إلي الإحساس بالاغتراب بأنها سدت عليها مخارم الأرض جميعًا، فرغم أن الأرض شديدة الاتساع، واسعة الفجاج، فيها الجبال والسهول، إلا أن شدة الحزن والأسي التي تعانيها الخنساء سدت عليها مخارم الأرض جميعًا، وضيقت عليها الدنيا من حولها، فبدت الدنيا من حولها مظلمة، هذا كله بالرغم من وجود من هم حولها لتعزيتها ويقولون لها: إن هذا أمر الله تعالي لا مرد له، وخير ما يصنعه المرء في هذه الحالة الصبر الجميل، فردت عليهم بأن بينت لهم أن صخرًا ليس كغيره من البشر، فهو كالقمر المنير الذي يستضاء به، ففقده ليس كفقد أي شخص آخر، ومن هنا تعظم مصيبتها وتجل عن الاحتمال [١٩] كانت تلك حالة الاغتراب النفسي التي مرت بها الخنساء عند فقد أخيها صخر . ومن مظاهر الاغتراب النفسي أيضًا نجدها عند الشاعر النمر بن تولب، الذي يلجأ إلي ربه ويتضرع في الدعاء من أجل أن يعيذه شر النفس فيقول: (من البحر الطويل)

أعذني رَبِّ مِن حَصَرٍ وَعيٍ وَمِن نَفسٍ أُعالِجُها عِلاجا
وَمِن حاجاتِ نَفسي فَاِعصِمَنّي فَإِنَّ لِمُضمَراتِ النَفسِ حاجا
وَأَنتَ وَلِيُّها وَبَرِئتَ مِنها إِلَيكَ وَما قَضَيتَ فَلا خِلاجا
وَأَنتَ وَهَبتَها كوماً جِلاداً أرجي النسل منها والنتاجا [٢٠]

تتجلي ظاهرة الاغتراب النفسي في قول الشاعر الذي يتضرع إلي الله –عزوجل– ويطلب العون منه من أجل أن يعينه على نفسه فقد عرف الشاعر حقيقة الأمر فالله –

---

[١٨] –**ديوان الخنساء اعتني به وشرحه حمدُوطماس، دار المعرفة بيروت–لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٥–٢٠٠٤م، ص٣٨،٣٩**

[١٩]–**ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، آمال عبد المنعم الحراسيس، أطروحة دكتوراة، جامعة مؤتة٢٠١٦، ص٧٠**

[٢٠] –**ديوان النمر بن تولب العكلي، جمع وشرح وتعليق د/محمد نبيل طريفي، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولي ٢٠٠٠، ص١١،١٢**

عزوجل– هو الذي خلق النفس وهو القادر على تهذيبها من أجل فعل الأشياء الحميدة والابتعاد عن الأشياء القبيحة.

ومن مظاهر الاغتراب النفسي أيضًا عند الشاعر تميم بن مقبل[٢١] قوله:

هل القلب عن دهماء سالِ فمسمحُ وتاركهُ منها الخيال المبرحُ

وزاجرهُ اليوم المشيب فقد بدا برأسي شيب الكبرة المتوضح

لقد طال ما أخفيت حبك في الحشا وفي القلب حتى كاد بالقلب يجرحُ[٢٢]

بدأ الشاعر قصيدته بالاستفهام عن ذكريات علقت به، ويحاول الشاعر أن يتناسى تلك الذكريات حتي لا يزداد حزنًا وأسي واغترابًا فإذا لم يفعل ذلك كان المشيب مصيره فقد ظهرت أعراض المشيب علي الشاعر والتي أثرت علي حياته اليومية، وما زاده كتمان ذلك الحب إلا توجعًا وجرحًا، فكان لابد من الإفصاح عن ذلك السر الذي جعل الشاعر يشعر بالاغتراب النفسي فطول الكتمان يتبعه طول الألم، والاغتراب الذي يحمله الشاعر في داخله.

وفي موضع آخر يبين قمة شعوره بالاغتراب النفسي عند ارتحال الأحبة فيقول:

صحا القلبُ عن أهل الركاء وفاتهُ على مأسل خلانه وحلائله

أخو عبرات سيق للشام أهلهُ فلااليأس يسليهِ ولاالحزن قاتله

تنأسا عن شرب القرينة أهلها وعادَ به اشاء العدو وجاملُه[٢٣]

تتجلي ظاهرة الاغتراب النفسي في تلك الأبيات فما كان ذلك الحزن والألم والفراق إلا طريقًا لوصول الشاعر لحالة الاغتراب النفسي، فقد حاول الشاعر جاهدًا أن يتناسى

---

[٢١] –التعريف بالشاعر: هو تميم بن أُبَيّ بن مقبل بن عوف بن حُنيف، شاعر مخضرم من قيس عاش في الجاهلية دهرًا ثم أدرك الإسلام فأسلم، وقد كان أعورًا، ويكني أبا كعب أو أبا الحرة.

[٢٢] –ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه د. عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت –لبنان، ص٥٣

[٢٣] –ديوان ابن مقبل، ص١٧٨

ذلك الحزن والألم الناتجين عن الفراق، وإذا لم يجد طريقة يصل بها إلى النسيان، فالموت هو الحل الوحيد حتى يخفف من وطأة ذلك الاغتراب النفسي.

، والإنسان أما أن يستسلم لتلك الحالة التي يمر بها، أو يبحث عن وسيلة ينفس بها عن ذلك الألم تلنوائب الدهر والخيانة والغدر من أقرب الناس إليه –أخيه– مما ترتب عليه فراق الحبيب والقريب والصاحب والغريب والأهل والديار ؛فانعكس ذلك في أشعاره وقصائده التي تبين لنا ذلك الاغتراب النفسي .

تأثير شعر المشارقة علي شعر الملك يوسف الثالث:

تأثر الملك يوسف بشعر المشارقة مثل المتنبي والخنساء والسموأل وغيرهم من الشعراء، نتيجة لعوامل ثقافية وتاريخية، حيث اختلطت الأساليب والمفردات بين الأندلس والمشرق وقد انعكس هذا التأثر في شعره، الذي كان يعكس الأساليب البلاغية والموضوعات المشرقية كالرثاء والفخر والمبالغة في الوصف.

يقول الشاعر :(الكامل)

كم ذا تُطيل تولهي وعنائي ماذا يضرك لو أجبت ندائي

يا ناظراً فتكت بنا ألحاظُه حتى تشحط خده بدماء

الله في نفس العليل فربما غَلب الصدودُ فصار في الأعداء

كم مقالة أسهرتها بك ظالمًا حتى الوفاء فلم تجد بوفاء

ما ضر لو زان المجال تجملٌ يُبري الذي هيجت من بُرحاء ا[24]

تتجلى ظاهرة الاغتراب النفسي في خطاب الشاعر محبوبه متسائلًا: كم سيبقى في هذا العناء والشقاء، ويكرر سؤاله لمحبوبه ماذا سيقع عليك من الضرر لو أجبت النداء، ثم ينتقل الشاعر فيصف لنا حاله، وما فعله به المحبوب فينادي عليه (يا ناظرًا فتكت بنا

[24] –الديوان، ص٣

ألحاظه) ويصف الشاعر سحر العيون وما تفعله بمحبوبه وصوّرها بالسلاح الفتاك وبأنها لا تغني عنه ولكنها تؤدي نفس المهمة، وقد جرى الشاعر في هذا المعنى المكرر على قول جرير:

إنَّ العُيونَ الَّتي في طرفها حَوَرُ قَتَلننَا ثمُ لَم يُحيين قَتلانا[25]

ويستطرد الشاعر في وصف ما فعلته به عيون محبوبته، والتي جعلته يتخبط ويضطرب وخده مملوء بالدماء، ويشعر بالاغتراب النفسي، ويصور الألم النفسي ويدعو الله أن يشفيه من المرض؛ فربما انتصر صدوده وتبدل حاله فصار في الأعداء، ويعود الشاعر مخاطبًا محبوبته، ويوضح توجعه ويسألها كم عين ودموع في مقلتيها منعتها النوم، وهي تفكر بك وأنت ظالم، وإنك لم تقابل الإخلاص بالإخلاص، ما الذي سيضرك لو تجملت فربما هدأ ما ثار، وما زال يعيش على هذا الأمل منتظرًا.

ويقول الملك يوسف :(الطويل)

طلاب المعالي بالرقاق القواضب ونيلُ الأماني في اقتياد المقانبِ

وراحة نفس الحر فتكة باترٍ وأنفهُ جبار وعطفة واهبِ

فأيةُ نفس لم يكُ المجد همَّها وبذلُ اللُّهى والعرف من كل جانبِ[26]

ويواصل شاعرنا حديثه عن اغترابه النفسي، ويصف لنا حال طلاب المعالي في ذلك اليوم الحار وسيوفهم لا تهدأ، فكأن الفرسان لا يجدون راحة أنفسهم إلا في صولة الحرب، وما داموا بعيدين عن عن ضربات السيوف وطعنات الرماح فهم يشعرون أنهم غُرباء، فما للراحة والسكينة خُلقوا.

إن الحر المقدام الشجاع الحاسم الذي يقضي في الأمور بلا تردد لا يجد راحة النفس إلا في ذلك، فهو الذي يرفع أنفه تكبرًا واعتزازًا، وبرغم ذلك عطفه يشمل الجميع ويعطي

---

[25] –ديوان جرير دار بيروت، (١٤٠٦هجري–١٩٨٦)، ص٢٤٣

[26] –الديوان، ص٤

بدون مقابل. ثم ينتقل إلى الحديث عن النفس وكأنه ينكر على النفس إذا لم يكن المجد أكبر همها وأعظم شغلها، وضرورة بذل كل ما يملك من أجل النصر.

وهذا المعنى مكرر في الشعر العربي، في قول السموأل: (من بحر الطويل)[٢٧]

وَما مـــاتَ مِنّا سَيِّدٌ حَتفَ أَنفِهِ وَلا طُلَّ مِنّا حَيثُ كـــانَ قَتيلُ

تَسيلُ عَلى حَدِّ الظُباتِ نُفوسُنا وَلَيسَت عَلى غَيرِ الظُباتِ تَسيلُ [28]

وقول أبي فراس الحمداني (من بحر الطويل):

تَهونُ عَلَينا في المَعالي نُفوسُنا وَمَن خَطَبَ الحَسناءَ لَم يُغلِها المَهرُ[29]

وهو معنى لا يسهل إحصاء مواضعه في الشعر العربي، ومفاده أن الشجاع الحُرَّ يستعذب مواجهة الموت في سبيل المكرمات، فهو غريب ما لم يكن حاملًا سيفه أو رمحه قاصدًا هذه السبيل.

ويقول الملك يوسف:(الطويل)

ومحجوبةٍ بالقصر لم تدر ما الهوى ولا سهرت يوما لذكر تصابِ

منعمة ريا الروادف أودعت حمـــــال زواء في بهاء شباب

أخادع فيها النفس بالوعد والمني وقد بخلت حتى برد جواب

سآمل إعسار الهوى أن يُديله بيُسر حبيب بالوصال يحابي[30]

في هذه الأبيات تتجلى ظاهرة الاغتراب النفسي التي يعاني منها الشاعر، إذ جعلته محبوبته منكسرًا متسائلاً منتظرًا الجواب، ويوضح لنا الشاعر صورة محبوبته فهي

---

[٢٧] –**السموأل بن غريض بن عاديا الأزدي: شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر في شمالي المدينة كان ينتقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق، وهو الذي تنسب إليه قصة الوفاء مع امرئ القيس.**

[28] **السموأل بن عادياء، ديوانه، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، د. ت، ص٤٥.**

[29] **أبو فراس الحمداني، ديوانه، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٠، ص٩٣.**

[30] –**الديوان، ص٦**

المستورة البعيدة لم تعلم ما هو العشق، فيفصل لنا حال العاشق بقوله: (ولا سهرت يوما لذكر تصاب) فهو في هذا الحب غريب، فوحده يسهر، ووحده يصبو، ووحده يشتاق.

كما أن الشاعر يتفرد بالعذاب دون محبوبته المنعمة التي وصف طيب عيشها وتنعمها، وأنها(ريا) أي نضرة المُحيَّا، ومن ثم تركت التجمل وهي في أبهى شباب.

ولعل معنى وصف الشاعر لتنعم حبيبته في مقابل ما يلاقيه هو من عذاب وهوان في الحب، وما يبدو عليه من مظاهر هذا العذاب، لعل هذا المعنى المكرر في الشعر العربي يحمل مع النسيب والتغزل دلالة شعور الحبيب المعذب بالوحدة والاغتراب، من حيث كان يأمل الوُدَّ والمؤانسة من المحبوبة، ويكفينا مثالًا على ذلك بائية الحصري القيرواني التي يُفرد جُلَّ أبياتها لهذه المقابلة بين حاله وحال حبيبته، وما شعر به من وحدة واغتراب نتيجة ذلك إذ يقول:(من بحر المتدارك)

يا ليلُ الصبُّ متى غدُه أ قيامُ السَّاعةِ مَوْعِدُهُ
رقدَ السُّمَّارُ فأَرَّقه أسفٌ للبيْنِ يردِّدهُ
فبكاهُ النجمُ ورقَّ له ممّا يرعاه ويرْصُدهُ
كلِفٌ بغزالٍ ذِي هَيَفٍ خوفُ الواشين يشرّدهُ
نصَبتْ عيناىَ له شرَكاً في النّومِ فعزَّ تصيُّدهُ
وكفى عجباً أَنِّي قنصٌ للسِّرب سبانِي أغْيَدهُ
صنمٌ للفتنةِ منتصبٌ أهـواهُ ولا أتعبَّدُهُ
صاحٍ والخمرُ جَنَى فمِهِ سكرانُ اللحظ مُعرْبِدُهُ[31]

[31] زهر الأكم في الأمثال والحكم، نور الدين اليوسي، دار الثقافة– الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨١، ١٧٦/٢.

فما يزيد من وحدة العاشق وشعوره بالاغتراب أن حبيبته لا تشعر بما يعانيه، بل تُنعَّم في العيش وتبدو في أبهى صورة، ولا يملك الشاعر –رغم عذابه– إلا أن يهيم بصورة الحسن هذه.

ويبين الشاعر اغترابه النفسي في قوله: (أخادع فيها النفس بالوعد والمني)، فهو لا يملك إلا أن يخادع نفسه بقرب الوعد وقد بخلت عليه بالجواب، ويدل هذا على عجزه وانطوائه النفسي وشعوره بافتقاد محبوبه، وهو ما يبدو أيضًا في قوله: (سآمل إعسار الهوي) وهي عبارة مفعمة بشعور الحرمان من محبوبه واغترابه من دونه.

ويقول الملك يوسف:(مجزوء الرمل)

نفسي فـــدا رقيب لذكـــره حبيبي

ملام في هواه من زاد في وجيبي

ما ذقت طعم هجر منه ولا قطوب

لكن عل نفسي بأنـــــه حبيبي[32]

تبدو لنا في هذه الأبيات ذروة الشعور بالاغتراب النفسي، فالشاعر يعاني من الفراق لدرجة أنه مستعد لأن يفدي بنفسه أي رقيب لمجرد أنه يذكر له محبوبه، فشاعرنا هو الملام في ذلك العشق، وبذلك ينفي عن محبوبه أي جريرة أو إثم في حاله التي وصل إليها جرَّاء الهجر، إذ لم يجد منه أي عبوس أو تجهم إنه يلتمس له كل عذر، ويذكر محاسن حبه فقط، ويُحمِّل نفسه أسباب ما وصل إليه من عذاب واشتياق.

ويقول الملك يوسف: (البسيط)

لسقي ذماء النفس تعتلج الجوي عليك وقلبٌ للغرام مجيب

وإني لأرجو من رضاه تعطفًا لُيرغَم واشٍ بالرضى ورقيبُ[33]

---

[32] –الديوان، ص٧

يفصح الشاعر عن هواجسه وأشواقه التي يكنها للمحبوبة، ويوضح لنا حالته النفسية وما يعانيه من اضطراب للنفس نتيجة شوقه، ويرجو من المحبوب سقيا لبقية روحه التي يشغلها الشوق والخوف، فقلبه يلبي نداء الغرام، وروحه تئن بين الاستعطاف والرجاء، رجاء صادر من نفس منكسرة ترجو منه نظرة عطف ورضا، حتى يُذَلَّ بها واشٍ ورقيب.

والشاعر في هذا الاستعطاف والاسترحام يسير على نهج كثير من الشعراء العشاق، الذين يسلبهم الحب كل قوة؛ فلا يبقى لهم سوى استرحام المحبوب ليصلهم، ومن ذلك –مثلًا– قول المتنبي: (من بحر الكامل)

اليَومَ عَهدُكُمُ فَأَينَ المَوعِدُ هَيهاتَ لَيسَ لِيَومِ عَهدِكُمُ غَدُ
المَوتُ أَقرَبُ مِخلَباً مِن بَينِكُم وَالعَيشُ أَبعَدُ مِنكُمُ لا تَبعُدوا[34]

إن الشاعر حين يستبد به الحنين والشعور بالوحدة والاغتراب عن محبوبه يتوجه إليه بمثل هذا الخطاب مُذَكِّرًا بالعهود وراجيًا الوصل والقرب.

ويقول الملك يوسف: (البسيط)

سبيكتنا الغراء جادتك أدمُع وإلا فوكاف من المزن ناضح
فأنت إلى كل النفوس حبيبةٌ كأنك رُوح والنفوس جـــوارح
بمغناك أهواء النفوس تجمعت فما أملٌ إلا لقصدك جانح[35]

يتفجع الشاعر ويحزن عندما يتذكر السبيكة المشهورة فيبكي على مدينته التي يفتقدها ويرجو أن يسيل دمعه بلا توقف حزنا عليها، ويدعو لها بأن يسقيها المطر الغزير، فهي محبوبة إلى كل النفوس، وشبهها بالروح والنفوس الجوارح، وأهواء النفوس قد

[33] –الديوان، ص١٢
[34] –ديوان المتنبي، الناشر: دار صادر_ بيروت (١٤٠٣هجري–١٩٨٣)، ص٤٧
[35] –الديوان، ص٢٣

تجمعت في مغناها، واتحدت هذه الأهواء جميعًا لتكون هوى واحدًا جانحًا صوب هذه المدينة التي تمتلك لُبَّه ويشعر بالاغتراب دومًا لطول العهد بينه وبينها.

ويقول الملك يوسف: (البسيط)

يا دهر تُمهل عمدًا كل ذي شرف يا دهر حتى تُراع الأسد بالنقَدِ كخ

لو كنت تقبل نفسا كنتُ واهبها عن نفسهم عوضًا والمال والعددِ

أو تدفع الدهر عن إهمالهم بيد إذا أُحـــامي بنفسي عنهمُ ويدي

أو كنت مالك أمري كنتُ ناصرهم بالمرهفات ولدن المتن مطرد[36]

يخاطب الشاعر الدهر كأنه إنسان يتحدث معه ويطلب منه التمهل عن كل ذي شرف حتى تراع الأسد، ويشعر أنه غريب في هذا الزمان القاسي، يملؤه شعور الاغتراب وتجيش نفسه المكلومة الحزينة فيساوم الدهر؛ فهو مستعد أن يهب نفسه والمال والعدد عوضًا عن أنفسهم بالرغم من إهمالهم، إنه مستعد أن يبذل الغالي والنفيس ويحميهم بنفسه، ولو كان الأمر بيده لكان ناصرهم بكل ما يملك من وسائل القوة من سيوف ورماح. إنه دافع الحب والحنين الذي يملك نفسه، ويجعل هؤلاء الأحبة أعز ما لديه، وهو من دونهم بين شعور الاغتراب، وشعور الحنين والرغبة في أن يكونوا بمأمن من نوائب الدهر وفواجعه التي يخشى عليهم منها ويريد مساومة الدهر في دفعها.

ويقول الملك يوسف: (البسيط)

لو أن نفسًا تلاقي الموت من أسف لكنت أول من يلقاه بالكمدِ

ما حال صادٍ مهيض لا حراك به لمورد وهو حرانُ الفؤاد صد

بأشواق اليوم من عيني لرؤيتكم وأخلص الرد من جـــهر ومُعتقد

من أين أسطيع بعضًا من حقوقكمُ والدهر عادت عواديه على سدي

---

[36] –الديوان، ص٣١

الحاضر الآن لا أرضي تفاهته فلتعذروا لقصوري في قصور يدي
فلست من يوسف يوما أمانعكم ما قد حوته يدي والروح من جسدي
والحال منا بعين الله يبصرها وكلنـــا طـــامع يرجـــو طلوع غد
ولا برحتم وستر الله يشملكم قريرة العين فـــي نفس وفي عدد[٣٧]

وأي حالة من الاغتراب والاضطراب النفسي التي يعاني منها الشاعر حتى كأنه أسوأ حالًا ممن يلاقي الموت، وإن حال من هو ضعيف بائس قد اشتد به الحَرُّ والعطش ليس أكثر اشتياقًا إلى جرعة ماء من الشاعر إلى لقاء أحبته، إنها مقارنة يعقدها الشاعر ليظهر بها ما هو فيه من لوعة وحنين واغتراب يعاني منها جرَّاء ذلك الفراق.

ويدلل الشاعر على صدق ذلك الشعور مبينًا أسفه وأساه على عجزه عن الوفاء بحقوق الأحبة ومجابهة عوادي الدهر الذي قضى بفراقهم، ولو كان يستطيع لبذل من روحه وجسده حتى يفي بحقوق ذلك الحب من وصل وملازمة، وكل هذه الخواطر إنما يهيجه شعور الوحدة والاغتراب والفقد الذي يسيطر على نفس الشاعر.

ويقول الملك يوسف:(الطويل)

فكيف بقاءُ النفس يا غاية المني ولحظك ماض في القلوب بقصده
فإما تُنيل الصب ما قد علمته وإما تذقهُ الموت رفقًا بوجـــده [38]

إذا كان الشاعر في الأبيات السابقة قد عزا الفراق لعوادي الدهر، فإنه في هذين البيتين يجسد مأساة غربته النفسية والحزن الذي يتغلغل في صدره لما فعله به محبوبه، ويتساءل كيف لنفسه أن تقوى على مواجهة سهام ذلك الحب القاتلة، سهام تركته جريح صبابةٍ لا يجد من محبوبه وصالًا ولا رفقًا بحاله، ويطلب منه أن ينيله ما يُرجى من

[٣٧] –الديوان، ص٣٢
[38] –الديوان، ص٣٣

المحبوب من قُرب ومواصلة، أو يدعه لعذاباته التي تضاهي الموت، وما ذلك إلا لشعوره بالاغتراب النفسي وأنه يبذل في الحب بلا مقابل.

ويقول الملك يوسف: (البسيط)

ألفت هواها حين آلفت الجوى وأذللتُ فيها النفس علها تظفر

ولكنها نفسي ومالي لها الفدا بإنسان لحظ العين مني تصورُ

أسر هواها وهو يُبدي قطيعتي وأبدي بالهجر أيان تهجر[39]

إنها حالة من الاغتراب النفسي التي يعبر فيها الشاعر عن أزمته النفسية وحالته المضطربة والمغتربة نتيجة ما فعله به محبوبه، فقد اعتاد الهوى والعشق مع كل ما يعاني منه من هجر، وهنا جاء توجع الشاعر عندما أذل نفسه لعله يفوز برضا محبوبه وينتهي هذا الهجران، إنه أسير لذلك الهوى لا يستطيع منه فكاكًا، فهو يعيش ما بين هجر المحبوب وذل النفس الأسيرة، ولا يستطيع مواجهة الهجر بهجر مثله، وحالة العجز هذه ليست هينة مع شيَم الفرسان وطباعهم؛ إذ تجعلهم يشعرون بالاغتراب عن أنفسهم الأبية التي تُفضل الموت على العجز.

ويقول الملك يوسف:(البسيط)

تولي فولي بعده الأنس وانقضى فلا أثر إلا الأسى والتفكر

ومن أجله تشتاق نفسي للحمى وأين الحمى مني وأين المشغر

تعطر ذاك الأفق منه فأودعت نسيم الصبا هذا الذكا والتعطر[40]

تتجلى ظاهرة الاغتراب النفسي في قول الشاعر الذي يشتاق لمحبوبه وهنا سر التوجع الصريح في قوله (تولي فولي بعده الأنس وانقضى) فقد تذكر شاعرنا محبوبته التي

---

39 –الديوان، ص٦٦

40 –الديوان، ص٦٧

برحيلها انقضى الأنس، وقد أنساه هذا الرحيل كل شيء إلا الأسى والتوجع، ونفى عنه الأنس ليترك له وحشة وغربة لا تنقضي.

ويقول الملك يوسف:(البسيط)

إن كان شخصك طوع البعد منتزحاً فالقلب حاضركم والوَهم والفكر

وما بنفسي إليكم من هوى وأسى تكاد منه الجبال الشم تنفطر[41]

ونجد الحالة نفسها من الاغتراب النفسي عندما يتذكر الشاعر محبوبته ويخاطبها بقوله: إن كان شخصك يختار البعد بملء إرادته، فإنه بُعد أجساد لا أرواح؛ فأنتم حضور في القلب والعقل لا يفكر في سواكم، ثم يلخص الشاعر ما به من شقاء وتوجع من اكتوائه بنار العشق المقرون بالهجران، وذلك في قوله: (تكاد منه جبال الشم تنفطر)، فما يتحمله هو لا يتحمله جبل أشم.

يقول الملك يوسف :(البسيط)

بدع تعبث في أهل الهوى عبث الظالم في نفس البري

قد جنت نفسي وهل لي عن جنى غُصن زادٍ بروض عطر[42]

يستنكر الشاعر تلك الأحداث التي تعبث بأهل العشق وتشقيهم، كما يعبث الظالم المتسلط بالنفوس البريئة التي لم تجنِ ما يوجب التسلط، ومن هذه النفوس نفسه التي لم تتحمل ذلك العبث، فاغتربت عن حقيقتها وطبيعتها، ومع ذلك لا تستطيع التحول عن ذلك الحب أو ذلك المحبوب الذي شبهه بغصن رطب في روض عطر.

ويقول الملك يوسف: (الكامل)

تشتاق نفسُ المشوق الواله لو تسعفون عميدكم بسؤاله

ما ضره إلا التشوق فيكم فسواكمُ ما إن يمر بباله[43]

---

41 –الديوان، ص ٧٥

42 –الديوان، ص٨٤

يضج البيتان بشدة الشوق واعتماله في نفس المشتاق، ذلك الشوق الذي يملك على النفس زمامها فلا تشعر إلا بالتماهي والتوحد مع المحبوب مغتربة عن ذاتها، ولا تهدأ حتى يبادله المحبوب ذلك الشوق، ويسعفه ولو بالسؤال عنه فضلًا عن الوصال الدائم، إن هذا الحب جعله عميدًا له محصورًا فيه لا يستطيع أن يُفلت من قبضته أو أن يرى سوى محبوبه، أو أن يمر بخاطره غير ذلك المحبوب، وكأنه أسير له.

ويقول الملك يوسف:(الخفيف)

كلما أدرك قلبي شاهداً فاءت النفس عليه كالظلال

أوجدوا النفس بفك قيدها وذروا الروح فريدًا في المجال[44]

ويستمر حنين الشاعر ويزداد لهفة لمحبوبه، فكلما أدرك قلبه دليلًا أو برهانًا، انبسطت النفس عليه كظله لا يفارقه، وكأن النفس تعايش هذا الشاهد ولا تنفك عنه ناسية ما سواه، إذ تغترب عن ذاتها سابحة في هذا العالم من النشوة، ومع ذلك تُفيق النفس من هذه النشوة على صوت التوجع والرجاء لمحبوبه بأن يفك قيده ويمنحه الحرية لتنعم الروح بالانطلاق فريدة في عالمها.

ويقول الملك يوسف: (الطويل)

لنا اليدُ من أوصافها البأس والندا وما شرفُ الأملاك إلا استلامها

وأما تداعينا إذا الغيد أشرقت ملامحها فالنفسُ باد هُيامها

لنا رقة الطبع الكريم إذا انثنى بنا معطف البديع قوامُها[45]

مع الفخر باليد الطولي للشاعر وقومه، تلك اليد التي من صفاتها القوة والشدة والكرم، يُقرُّ الشاعر بحالة الهُيام التي تستحوذ على نفوسهم وتسلُبها فتجعلها مغتربة عن

---

[43] –الديوان، ص٩٤

[44]– الديوان، ص ٩٦

[45] –الديوان ص١٢٠

طبيعتها الشديدة، وذلك متى أبصروا الجمال في وجوه الحِسان وقوامهن الفاتن، وما ذلك إلا رقة في الطبع لا يملكون لها دفعًا.

ويقول الملك يوسف:(الطويل)

إلى كم تُناجينا كواكبُ ليلنا وتُخفي أحاديث الغرام ونكتم

أليست لي النفسُ التي من صفاتها سُهاد جفونٍ والأحبة نُوم[46]

يحمل هذا التساؤل شعورًا بالاغتراب النفسي والقلق والوحدة؛ فلا يجد الشاعر مؤنسًا في ليله، ليتخذ من الكواكب صديقاً وونساً يفضي كل منهما إلى الآخر، حتى لا يُضطر الشاعر إلى البوح بأحاديث الغرام إلى من قد لا يصونها، فهذه النفس المسهَّدة له وحده، وليس لأحد أن يطلع على مكنوناتها، ومن ثم يُفضل الشعور بالغربة والوحدة التي لا تؤنسها إلا النجوم والكواكب على أمل أن تنقضي عزلته وغربته بوصال أحبته.

ويقول الملك يوسف : (الطويل)

فلما رأت عيني الهوادج بينهم سراعاً علي الأكتاد منهم ترفع

تقهقرتُ خلفي والدموع حثيثة علي الخد مني تستهل وتهمع

ووقرت نفسي والضلوع رواجف تكاد من الإشفاق وجداً تضعضع[47]

إنه ينزوي جانبًا في مشهد الوداع، ويفضل أن يبكي وحده وألا يرى دموعه أحد، إن قواه قد ضعفت وعزيمته قد خارت ودموعه قد انهمرت عندما رأى استعداد الأحبة للرحيل، لقد كاد هذا المشهد يذهب بنفسه ويُضعضع جسده، ما ولَّد عنده شعورًا بالوحدة واغتراب الروح التي فارقها أحبتها.

وهذه الصورة نجد بعضًا من ملامحها كذلك في قول الملك يوسف:(الطويل)

وأنحل جسمي طُول هجرك والنوى فلم يبق مني غير قلب معذبِ

---

[46] –الديوان ص١٢١

[47] –الديوان ص١٧٤

كئيب أمني النفس بالقرب في الهوى ومن لي بوصل منك أو بتقرب

ومن لي بعطف منك ذيطفئ لوعتي ففي القلب ذكراك جذوة مُلهب[48]

يصف الشاعر المغترب حالته الجسدية وما ترتب عليها من ذلك الصدود في العشق، فقد أوشك أن يذوب حزنًا من طول الهجر، ولازمته الكآبة لذلك، ومع هذا فهو يعيش على أمل القرب واللقاء، ثم ينتقل إلى رجاء محبوبه أن ينظر إليه بعين العطف ويطفئ شوقه، ويرحم قلبه المفعم بذكرى الحبيب المشتعلة كالجمرة. وكما سبق أن تلك الحالة من الضعف والرجاء شديدة الوقع على نفس الفارس الذي من شيمته العزة والإباء، فإذا صار إلى هذا الضعف شق عليه وامتلأت نفسه بشعور الاغتراب.

ويقول الملك يوسف :(الطويل)

مضى طاهر الأثواب والنفس لم تشن محاسنه الزهر الخلال مقابح

وكنا نرجيه على الدهر عدة إذا ما عرا خطب من الدهر فادح[49]

يوضح لنا الملك يوسف حالته النفسية وكيف شعر بالاغتراب النفسي عندما فقد والده الملك يوسف، فقد مضي طاهر الأثواب ويقصد هنا والده ولم تذكر محاسنه والتي كانت مثل طلع الزهر والتي لم يشوبها ثقب من الأخلاق المستقبحة، فقد كان علي أتم الاستعداد لتقلبات الدهر ومصائبه الثقيلة والعظيمة.

ويقول الملك يوسف: (البسيط)

أيقضي لشمل قد تبدد ألفة ويرجي لوصل قد تقضي وصول

وهل لغريب الدار والنفس والهوى إلى نيله لقيا الحبيب سبيل[50]

---

[48]–الديوان ص١٧٨

[49] –الديوان ص١٨٦

[50]–الديوان، ص١٩٢

الاغتراب هذه بقوله: (وهل لغريب الدار والنفس والهوى) إنها الغربة النفسية مرتبطة بغربته عن الوطن وعن الأحباب، ويتساءل هل لذلك الغريب من طريق للقيا الحبيب.؟! ويقول الملك يوسف: (الطويل)

سألزم جد الصبر في كل حادث على أن صرف الدهر بالحر لاعب

فنفسي على الدهر المسيء جليدة ومجدي عن الدنيا الدنية راغب[51]

يُلزم الشاعر نفسه الصبر والجلد في الحادثات مهما اشتدت ومهما لعب الدهر به، إنه سيوطن نفسه على التغافل والتجاهل، وسيتخذ من الاغتراب عن الدنايا معينًا على ذلك، فالاغتراب هنا له طبيعة إيجابية؛ إذ هو ترفُّع عن الرغبة في الدنيا الدنيئة أو الرهبة من عواديها، وكأن الحُر فوق كل ذلك فلا يليق به أن يتأثر به أو يعبأ بما تحمله الأيام من عطايا أو رزايا.

الخاتمة

لقد حاول البحث تسليط الضوء على ظاهرة الاغتراب النفسي في شعر الملك يوسف الثالث من خلال دراسة أدبية تحليلية، والتي اعتمدت في دراستها لظاهرة الاغتراب النفسي في شعر الملك يوسف الثالث علي المنهج النفسي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي.

وقد أسفرت الدراسة عن عدة نتائج توصلت إليها، والتي تري ١-أهمية تلك الظاهرة الاجتماعية من خلال شعر الملك يوسف الثالث.

٢-إلي أن شعر الملك يوسف الثالث يعكس بوضوح نزعة اغترابية تمس ذات الشاعر وعمق وجدانه، يظهر ذلك من خلال قصائده التي تعبر عن الحنين إلي الماضي والشعور بالغربة في الحاضر، مما يعكس حالة نفسية معقدة ومضطربة.

٣-أوضحت الدراسة انتشار ظاهرة الاغتراب النفسي في شعر يوسف الثالث، كان انعكاسًا للواقع السياسي والاجتماعي المضطرب الذي تمر به البلاد، هذا الشعور بالاغتراب والحنين يظهر بوضوح في العديد من قصائده، التي يتناول فيها موضوعات الفقد والحنين والشوق، مما يعكس تأثره العميق بالظروف التي تمر بها البلاد.

٤-ألقت الدراسة الضوء على عمل أدبي أندلسي عريق وهو ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث.

ومن ثم أدعو الباحثين لدراسة ديوان الملك يوسف الثالث من زوايا أخري وتطبيق ظواهر أخري؛ وذلك لأهميته التاريخية.

المصادر والمراجع

١)الإحاطة في أخبار غرناطة، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، حققه: محمد عبدالله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة، ط١ (١٣٩٥هجري-١٩٧٥م).

٢) الاغتراب النفسي وعلاقته بالأمن النفسي دراسة ميدانية على عينه من طلبة دمشق القاطنين بالمدينة الجامعية، د/رغداء نعيسة، مجلة جامعة دمشق -المجلد ٢٨-العدد الثالث -٢٠١٢م

٣)الإنسان المغترب عند إريك فروم، د/حسن حماد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة ٢٠٠٥م

٤)إرشادات الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، سناء حامد زهران، ط١ (١٤٢٤هجري-٢٠٠٤م)

١) ديوان أبى فراس الحمداني، مؤسسة هنداوي، القاهرة ٢٠٢٠م

٢) ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه، د/عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت-لبنان.

٣) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق مصطفي السقا، إبراهيم الابياري، عبدالحفيظ شلبي، الناشر: القاهرة مطبعة لجنة التأليف والنشر (١٣٥٨-١٩٣٩).

٤) ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر (١٤٠٦هجري-١٩٨٦م)

٥) جبران في ضوء مؤلفاته العربية دراسة تحليلية، محمد نجم الحق الندوي، مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، -العدد السادس عشر-٢٠٠٩م.

٦) زاد المسافر وغرة محيا الأدب المسافر لأبي بحر صفوان ابن ادريس التجيبي المرسي، اعتني بنشره والتعليق عليه عبد القادر محداد، بيروت ١٩٣٩-١٣٥٨م.

٧) زهر الأكم في الأمثال والحكم، نور الدين اليوسي، جدار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ١٩٨١م

٨) ديوان السموأل بن عاديا، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، د.ت.
٩) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الناشر: بيروت–دار الجيل، (د،ط)،(د،ت).
١٠) ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، آمال عبد المنعم الحراسيس، دكتوراه، جامعة مؤتة ٢٠١٦م
١١) –ديوان المتنبي، الناشر، دار صادر بيروت للطباعة والنشر (١٤٠٣هجري–١٩٨٣م)
١٢) المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، على وطفة مجلة عالم الفكر مجلد ٢٧، عدد٢، إصدار ١أكتوبر١٩٩٨م
١٣) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق :عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
١٤) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث .
١٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه د/إحسان عباس، دار صادر بيروت.
١٦) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.عبدالوهاب المسيري، (د،ط)،(د،ت).
١٧) ديوان النمر بن تولب العكلي، جمع وشرح وتعليق د/محمد نبيل طريفي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولي ٢٠٠٠م

Psychological Alienation in the Poetry of King Yūsuf III: An Analytical Literary Study

Abstract:

This study aims to unveil the manifestations of psychological alienation in the poetry of King Yūsuf III, with a view of highlighting the most significant of these manifestations. It also attempts to reveal the reasons behind King Joseph's feeling of psychological alienation, as a result of the calamity and suffering to which he was exposed, and how he coped with it. Additionally, the study analyzes the prevalence of vocabulary denoting grief and sorrow, which reflect his psychological estrangement through his poems. It focuses on a distinguished Andalusian literary work, namely the Dīwān of King Yūsuf III, and adopts a psychological approach in its analysis.

Keywords: Alienation, Psychological, The Poetry of King Joseph II